منطلق العربية الى العالمية
فى العصر الحديث

بقلم الدكتور
ربيـــع محمـــد مصطفى صـــادومه
مدرس بقسم أصول اللغـــة
بكليـة اللغـــة العربيـــة
جامعـــــة الأزهر
بإبيتاى البارود

١ ـ التقـــدمة :

اللغة العربية كانت ولازالت فى مصاف اللغات الحيـــة، أخذت طريقها إلى العالمية فى القـــديم ، وبدأت خطواتها الى هذا مذ كانت رابضة فى شـــبه الجزيرة العربيـــة فى العصر الجاهلى ، حتى ظهر الاسلام وكانت الفتوحات الاســـلامية ، فاذا هى لغـــة قد اســـتوثقت لبناتها واستحكمت سرواتها ، فانطلقت الى العالمية يحملها الفاتحون فى حناجرهم وأفواههم وظلت منذ هذا التاريخ ولفترة ممتدة تعد بالقرون هى اللغـــة الأولى بين لغات البشر جميعا .

وربما نظر البعض الى العربية حينئذ فلم ير إلا أنها لغة قد ساعدتها الظروف ، أو صنعتها الاقدار ، فهى كانت لسان الدولة الاسلامية المنطلقة نحـــو الشرق والغرب والمتربعة فى الوقت نفسه فوق عروش الدول التى ذهبت ، وكانت وعـــاء المعجزة التى تحمل الى الناس تعاليم وأحـــكام هـــذه الدولة، المتفوقة ، ثم يرى أن أى لغة من اللغات لو أتيح لها ما أتيح للعربيـــة آنئذ ، فإنها ستؤول الى ما آلت اليه العربية فى عصر انطلاقها) ، ودليل ذلك مشاهد الآن ، (ففى العصر الحديث نهضـــت دول ماديا ومعنـــويا ، فنهضت بنهضتها لغاتهـــا ، وهاهى ذى اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية) مثلا غدتا مأما لأمم كثيرة ودول غفيرة ، وصارت لسانها وأقلامها ، كما صـــار لهما فى كل بـــلاد الدنيـــا أو فى معظمها معاهـــد تنشرهما ، ومدارس تقررهما ووظائف تشترطهما ، وما ذلك إلا لأنهمـــا لسان دول ذات حول وطول . (ونحن لا ننكر أن تكون لقوة الدول أثر فى نهضة لغتها) ، فقديما قيل :

وبار تميما بالغنى إن للغنى
لســـانا به المرء الهيوبة ينطق

(ولكن تظل هذه القوة خارجة عن ذات اللغة ، ولا تغنى شيئا عن اللغة إذا لم تكن للغة قوة ذاتية داخلة فى كيانها)، ولا تلبث اللغة المعتمدة على قوة خارجية أن تنحسر إذا تلاشت هذه القوة وذهبت ريحها) .

(وسنرى من خلال هذا البحث أن اللغة العربية امتلكت من عناصر القوة الذاتية ما جعلها فى القديم عالمية ، ولم تصنع قوة الدولة المادية والمعنوية إلا أن زادتها قوة الى قوتها) .

كما سأبين ما تحتاجه العربية فى العصر الحديث لتؤسس به منطلقها نحو العالمية مرة أخرى ، رغم انحسار قوة أهلها وتخلفهم عن ركب الحضارة فى هذا العصر) ، وهذا ما سيؤكد مرة أخرى أن فى العربية قوة ذاتية هى صانعة مستقبلها وهى جوهر انطلاقها ، وليست لغة أهلت فى القديم لنزول القرآن بها بعاجزة عن أن تؤهل فى العصر الحديث لحمل رسالة العلم ، وصدق الشاعر حافظ ابراهيم إذ قال على لسان العربية :

وسعت كتاب الله حكما وحكمة
وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماءِ لمخترعات ؟
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى ؟

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

د ربيع محمد مصطفى صادومه
شبرابابل فى ١٩٩٢/١/٢٣م

٢ ـ إطلالة عجلى :

لا بأس من اطلالة سريعة الى العربية عبر سيرتها منذ العصر الجاهلى والعصور التالية ، فان هذه الاطلالة ضرورة ليتبين من خلالها أن مسيرة العربية منذ هذا التاريخ مسيرة لغة لا تقنع بما دون النجوم كما يقال فى تعبيرات أهل البلاغة ، وأيضا للاستئناس بأسباب انطلاقها قديما لتحقيق أسباب انطلاقها فى العصر الحديث ، ومن ناحية أخرى لأننا نرى أن العربية منذ كانت هى العربية فى كل القرون وحتى هذا العصر ، فلم تتغير ولم تتبدل ، فان الألفاظ التى عرفها عنترة بن شداد ونظم بها شعره ، هى الألفاظ التى تتردد فى نظم شعرائنا اليوم ، وهاك نموذج من الشعر القديم يقول فيه عنترة(١) :

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

أعياك رسم الدار لم يتكلم
حتى تكلم كالأصم الأعجم

ولقد حبست بها طويلا ناقتى
أشكو إلى سفع رواكد جثم

يا دار عبلة بالجواء تكلمى
وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

دار لآنسة غضض طرفها
طوع العناق لذيذة المتبسم

---

(١) أشعار عنترة العبسى / ص ٢٠ ـ تقديم وشرح ـ د. عبد المنعم خفاجى .

فانظر الى ألفاظ هـذا النص كله فانهـا ألفاظ عربيـة ، ولا يحول ما فيها من غريب الألفاظ دون ذلك ، فما جعلها غريبة إلا انهيار السلائق وضعف الفصاحة ، وهذه ألفاظ استعملت فى شعر حديث ، لم تخدش الحداثة عروبتها ، كما لم تزل من بعض ألفاظ غرابتها ، فما غرابتهـا كما قلت إلا ضـعف فى أصحاب اللغة ، يقول شوقى فى وصف دمشق(٢) :

آمنت بالله واستثنيت جنتـه
دمشـق روح وجنـات وريحـان

قال الرفاق وقد هبت خمائلهـا
الأرض دار لهـا الفيحاء بستان

جرى وصـفق يلقانا بهـا بردى
كما تلقاك دون الخـلد رضـوان

دخلتهـا وحواشيها زمـردة
والشمس فـوق لجين المـاء عقيان

فبين النصين ما يزيد على أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولكنهما كما ترى خرجا من مشكاة واحدة اسمها اللغة العربية ، وهذا ما لا نراه فى لغة أخرى غير العربية ، إذ يؤكد البحث الحديث بصفة عامة « أن اللغات القديمة التى نملك منها شواهد نسبيا لم تعد مستعملة ء كمـا هى الحال بالنسبة للغتين البابلية والمصرية ، أما فى الحالات التى تكون لدينا فيها نصـوص قديمة للغات لا تزال تستعمل نجد أن هناك فروقات كثيرة بينها وبين اللغات الحالية التى تمثلها اليوم ، ونستطيع أن

---

(٢) انظر المفصل فى تاريخ الادب العربى ٢/٣٥٣ لاحمد الاسكندرى وآخرين .

نمثل على ذلك إذا تأملنا اللغات الرومانية الحالية إذ تطورت هـذه اللغات عن اللغـة اللاتينية ، ومـع ذلك لا تفسر اللغة اللاتينية الأدبية اللغات الرومانية بصـورة واضحة ، ذلك لوجود فروقات كثيرة تمكن ملاحظتها بين النصوص الأولى لكل لغـة مـن اللغـات الرومانيـة وبين اللغـة اللاتينيـة المكتوبة(٣) .

ولا يمكن أن تكون العربية مثالا لهذا الذى ذكره البحث الحديث إلا فى صورة ضئيلة ونادرة جدا ، حين تتمكن الغربة من ألفاظ بعض النصوص وتغرق دلالتها فى الغموض ، لكنها رغم ذلك خاضعة للقاعـدة العامة التى تخضـع لها الكلمات جميعا ، والفروق التى يمكن أن تكون فى القواعد قد عملت العربية على إذابتها منذ وقت مبكر ، أو حين ظهر ما سمى فى تاريخ العربية باللغة المشتركة .

اللغـــة المشتركة :

هى آخر أدوار التهذيب الذى لازم العربية حينـا من الدهر ، فكانت تنتقل به من دور الى آخر حتى كانت اللغـة المشتركة ، ومعناها : تخلص العربية من شوارد الألفاظ وفروق التركيب ، « وليس معناها كما يرى باحثون كثيرون » : أنها تعنى تغلب لهجة قريش على لهجات القبائل الأخرى(٤) ، ناسين أن اللهجات لايمكن القضاء عليها البتة ، إذ هى لاتعدو أن تكون فروقا صوتية بين بيئـات مختلفة ، بل ذكر بعض

---

(٣) علم اللغة الحديث ـ د. ميثال زكريا ص ١٠٦ .
(٤) مرجعين ذلك الى أسباب دينية واقتصادية وسياسية .
انظر فقه اللغة د. صبحى الصالح ص ٧٢ .
وفصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص ٧٨ .

هؤلاء الباحثين : « أن التجارب الحقيقة التى قام بهـا علماء الأصوات اللغوية برهنت على أنه لا يكاد يوجد شخصان فى بيئة واحدة ينطقان نطقا متماثلا تمام التماثل(٥) .

كما أنهم ناسون أن الآثار الأدبية التى قالوا عنها : بأنها موحدة منسجمة خالية من الخواص المحلية « هذه الآثار وصلت إلينا مكتوبة ولم تصل على أشرطة مسجلة ، ثم وصلت عـن طريق رواة متخصصين لا عن طريق رواة قبليين .

وأعجب ما رأيت لدى المحدثين فى موضوع اللغة المشتركة رغـم اختـلافهم على مصـدرها ، أهى قريش أم العـرب جميعا(٦) ؟ أنهم اتفقوا على أنها لغة الخاصة من العرب دون العامة(*) ، فهذا ما يدعونا الى تقليب الكفين عجبا واستغرابا، إذ هى دعوى ليس لها دليل واحد مقبول ، إذ على أى أساس يمكن تحديد خاصة العرب وعامتهم ؟ نعم يوجد أساس لتحديد ذلك إذا أردنا تفسير التنوع الاجتماعى والاقتصادى للعرب ، أما التنوع الثقافى ، فلا أساس هنالك إلا الأمية التى شملت أقصى شـبه الجزيرة وأدناها إلا نفـرا ذوى عـدد من أهـل الجاهلية كانوا يكتبون(٧) ، أحصاهم « البلاذرى » فى قوله : « دخل الاسلام وفى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب(٨) .

ثم كان من المعروف أن علماء اللغة حين جمعوها قديما لم يرتضوا أن يجمعوها إلا من الأميين الذين لا يعرفون الفرق بين المقيد بمعنى المشـكول ، والمقيـد بمعنى المغلول ، قـال « الجاحظ » : ولو عرف ذلك لم يلتفت الى روايته(٩) ، وكان

---

(٥) د. ابراهيم أنيس فى اللهجات العربية ص ٢٠ .
(٦) انظر فقه اللغة د. عبده الراجحى ص ١٢٠ .
(*) انظر المراجع السابقة .
(٧) انظر المزهر ٢/٣٥١ .
(٨) فتوح البلدان ص ٤٧٧ .
(٩) البيان والتبيين ١/٩١ .

فذر البصريين حين جمعوا اللغة : « أنهم أخذوا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، أما هؤلاء ـ يعنون الكوفيين ـ فقد أخذوها من أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز(١٠) .

فأين الخاصة والعامة فى قوم فقراؤهم وأغنياؤهم ممن يؤخذ عنهم ويحتج بمنطقهم ؟

ولذا لا يجوز القول : بأن القرآن الكريم نزل باللغة المشتركة بمعنى لغة الخاصة ، بل نزل باللغة المشتركة بمعنى اللغة التى خلت من مستبشع اللغات وفروق التركيب فهى المعنية فى قول الله سبحانه : « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين »(١١) .

نـزول القـرآن :

توجت العربية فى آخر أدوار تهذيبها بنزول القرآن ، وكفى بهذا إعلاما على أنها بدأت دورا جديدا يختلف عن أدوارها السابقة ، وهو دور العالمية وخروجها عن شبه الجزيرة العربية ، لأن الدين الذى هى لسانه دين الى الناس كافة أينما كانوا .

وقبل أن أوجز مظاهر الدور الجديد الذى بدأته العربية بنزول القرآن ، فهناك لفتة علمية وجه القرآن إليها منذ نزل، وهى دمج المعرب فى العربى وقوله عنهما « بلسان عربى مبين»

---

(١٠) انظر نشأة النحو للشيخ الطنطاوى ص ١٢١ . فالمأخوذ عنهم بمنطق العصر (الحرفيون الفقراء ، وسكان القصور الاغنياء) ، بل جاء فى المزهر أنهم أخذوا عن الصبية ، ولم يتوقوا أشعار المجانين ١/١٣٩ .

(١١) سورة الشعراء الايات ٩٣ وما بعدها .

وبهذا يؤكد القرآن صنيع العرب بتعريب الأسماء الأعجمية على منهاجها قبل نزول القرآن ،وكأن العرب استشعروا من بعد أهاية لغتهم لاستيعاب ما يحتاجونه من ألفاظ اللغات الأخرى ، وكأنهم ينتظرون لها يوما له ما بعده ، يوما تكون فيه هى المهيمنة على حضارات العالم وعلومها ، ولقد وفق أبو عبيد القاسم بن سلام حين طلع برأى يوفق بين رأيين متناقضين ذهب الأول منهما الى وقوع الأعجمى فى القرآن، والثانى الى أن القرآن ليس فيه من كلام العجم شىء ، قال أبو عبيد : « والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا ، وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بلسانها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق(١٢) .

يقول « الامام السيوطى » بصدد ذلك : « فهذه اشارة الى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ فى القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شىء ، فلابد أن نقع فيه الاشارة الى أنواع اللغات والألسن لتتم احاطته بكل شىء(١٣) .

وفى تفسير وقوع هذه المعربات فى القرآن قال بعض العلماء : « كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسنة فى أسفار لهم فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الفصيح ووقع بها البيان وعلى هذا الحد نزل القرآن(١٤) .

---

(١٢) انظر المزهر ١/٢٦٨ .
(١٣) الاتقان فى علوم القرآن - للسيوطى ١/١٣٦ .
(١٤) السابق نفس الجزء والصفحة .

والمفهوم من ذلك أن المعربية وقع فيها المعرب وأكد القرآن هذا الوقوع ، لأن عجمة المعرب زالت بتعريبه ، وقد جمع الامام السيوطى المعربات فى القرآن فى كتاب أسماه « المهذب فى ماوقع فى القرآن من المعرب »(١٥) ، وقد ألمحت الى هذه اللفتة العلمية القرآنية الآن إيماء الى أن العربية الفصحى فى هـذا الوقت قد استعدت الى خوض غمار العالمية باقتدار ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تمهيد لما نراه فى ختام البحث من ضرورة الالتفات الى موضوع التعريب لنهضة العربية مرة أخرى الى العالمية فى عصرها الحديث .

وفى ايجاز شديد أجمل مظاهر الدور الجديد الذى بدأته العربية بنزول القرآن فى نقاط ثلاث :

الأولى : تغلبها على لغات الأمصـار المفتـوحة . فما ان حطت العربية فى هذه الأمصار (الشـام ، ومصر ، والعراق، وافريقية الشمالية) حتى بدأ الصراع باللغات التى كانت سائدة فيها ، فاشتبكت العربية مع اللغة الرومانية فى الشام، والفارسية فى العراق وغيرها ، ومع لغات محلية كالآراميـة التى تمكنت من ألسنة كثيرين فى الشام والعراق ، وكالقبطية فى مصر ، وكالبربرية فى شمال افريقية ، يقول أحد الباحثين: « وأقبل الناس فى كل هذه المناطق على الدين الحنيف ودخلوا فيه أفواجا عن طواعية لا عن كره ، ونظروا فاذا اللغة العربيـة ترتبط بهذا الدين ارتباطا وثيقا ، فقد جاءت بها المعجزة الكبرى للاسلام وهو القرآن الكريم ، فأقبل الناس فى الأمصار على اللغة العربية أيضا ، بل لا نغالى حين نقرر أن إقبالهم على اللغة فى بعض هذه المناطق كان مصاحبا لإقبالهم على الدين ، وهكذا أصبحت اللغة العربيـة خلال قرنين من الزمان لغـة

---

(١٥) حققه د. ابراهيم ابو سكين .

عالمية ، تنتظم جهات من بلاد فارس وكل العراق ومعظم مدن آسيا الصغرى ، كما تنتظم مصر وشمال افريقية كما سادت فى بلاد الأندلس عدة قرون(١٦) .

وفى الحق أن العربية قبل الاسلام ما كانت تطمع فى أن يتعدى سلطانها جزيرتها ، ولكن القرآن الكريم حين انتزعها من باديتها - وقد استكملت عدتها - أتاح لها عالمية فسيحة الأرجاء ، تأخذ منها لألفاظها ومعانيها وأغراضها وأسلوبها ، فأقبل الناس عليها وانصرفوا إليها تدفعهم الحاجة الى التفاهم مع أوليائهم العرب ، والى معرفة أحكام الدين ودراسة القرآن الكريم ، والكشف عما فيه من كنوز علمية ، وهذا هو المظهر الثالى فى دور العربية الجديد .

الثانية : ظهور الدراسات العلمية . فيجمع العلماء قديما وحديثا على أن القرآن الكريم هو منبع الدراسات العلمية التى بدأت أولا لغوية وانتهت الى ما انتهت اليه من البحث فى آفاق علمية متنوعة ، فكان القرآن - كما ذكر الباحثون - « هو المحور الذى دارت حوله تلك الدراسات المختلفة ، سواء منها تلك الدراسات التى تتعلق تعلقا مباشرا بتفسير القرآن وتوضيح آياته وتبيين معناه ، واستنباط أحكام الشريعة منه ، أو تلك التى تخدم هذه الأغراض جميعا ، بالبحث فى دلالة اللفظ واشتقاق الصيغ وتركيب الجمل ، والأسلوب والصور الكلاميةواختلافها باختلاف المقام ، حتى تلك الدراسات التى تتعلق بالرسم الاملائى والفلك والرياضة واستكناه أسرار الطبيعة ، كل هذه الدراسات قامت أساسا لخدمة الدين

---

(١٦) د. ابراهيم أنيس اللغة بين القومية والعالمية ص ٢٧٦ .

الاسـلامى ولغرض فهم القـرآن الكريم ، مصـدرا للتشريع الاسلامى ودستور المسلمين(١٧) .

وتقفنا المراجع على أن علم النحو بدأ فور لحن فى القرآن الكريم إذ قرأ قارىء : « أن الله برىء من المشركين ورسوله ـ بالكسر ـ فقال « أبو الأسود الدؤلى » مؤسس علم النحو » : ما ظننت أن أمر الناس آل الى هذا ، وبدأ نقطه فى المصحف المعروف بنقط أبى الأسود(١٨) .

وعلى أن علم المعجم بدأ لدى « عبدالله بن عباس » حين اكتنفه الناس وهو بفناء الكعبة يسألونه عن تفسير القرآن، فقال له بعض من سأله ـ وهو نافع بن الأزرق ومن معه ـ إنا نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب(١٩) .

وغير ذلك من علوم لغوية وضعت أصولها صيانة للقرآن الكريم وظلت تتطور مع كل جيل حتى استقرت على الوضع الذى تعرف به الآن ، ومن الأمانة والانصاف أن نلفت الأنظار والعقول الى أن هذه العلوم اللغوية والأدبية والبلاغية التى تدرس الآن بتوسع فى جامعاتنا كان الهدف من وضعها فى أول الأمر هو المحافظة على القرآن الكريم ، فاذا نسى القرآن أو تنوسى فما مغزى التوسع فى هذه الدراسات عندئذ ؟ . ثم إن القارىء للقـرآن المتـدبر لآياته يرى أنه موجه للعقـول والبصائر الى علوم جمة ، فهو يوجه الى علم الفلك فى قوله عز وجل : « فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسـم لو تعلمون

---

(١٧) د. رمضان عبد التواب ـ وفصول فى فقه العربية ص ١٠٨ .
(١٨) الفهرست لابن النديم ص ٤٥ .
(١٩) الاتقان فى علوا القرآن للسيوطى ١/ ١٢٠ .

عظيـم »(٢٠) ، ويوجه الى علم طبقـات الأرض ، فى قوله سبحانه : « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم »(٢١) . والى علم الأغذية حين حرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما الى ذلك ، ناهيك عن علم التشريع والقانون التى لن يتفتق ذهن البشرية عن قوانين تجاريها وتدانيها ، والى علوم أخرى لا سبيل الى احصائها الآن ، هى من مرتكزات الحياة الانسانية حتى رأينا المستشرق الفرنسى « قاسطون قار » يقول : « ان الأساسات التى استند اليها مدنية العالم مقتبسة من قوانين ذلك القرآن ، حتى جاز أن نقول : هذه المدنية طلعت الى ساحة الوجود من امتزاج الأساسات المنشورة من قبل القرآن(٢٢) .

نعم عندما نزل القرآن بدأ العلم يتقدم رويدا رويدا الى أن زادت قوة المشاهدة والدراسة لدى الانسان فكشف عن أسرار كثيرة كانت من قبل مطمورة ، أو كانت مشوهة منكورة . وأخذ الاصطلاح العلمى يظهر أكثر من ذى قبل ، وليس هذا الفضل إلا للقرآن الكريم .

الثالثة : استيعاب العربية للمصطلحات العلمية . فاللغة التى وسعت القرآن لم تضق فى قرون تالية عن مصطلحات العلوم ، وطبعى أن تحمل العربية أولا هذه المصطلحات القرآنية وبذا وجه القرآن العربية وجهة جديدة وأبدى صلاحها للتعبير عن معان خاصة بألفاظ معينة ، قال العلامة ابن فارس : « كانت العرب فى جاهليتها على إرث من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسكهم وقراييبنهم ، فلما جاء الاسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة

---

(٢٠) سورة الواقعة ـ الايتان : ٧٥ ، ٧٦ .
(٢١) سورة النحل ـ الاية : ١٥ .
(٢٢) انظر اشارات الاعجاز فى مظان الايجاز ـ سعيد النورسى ـ ص ٢٧٤ .

ألفاظ منمواضع الى مواضع أخر،بزياداتٍ زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفى الآخر الأول ... فصار الذى نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن ، وحتى تكلموا فى دقائق الفقــه وغوامض أبواب المواريث وغيــرها من علم الشريعة وتأويل الوحى بما دون وحفظ حتى الآن(٢٣) .

فألفاظ الصلاة والصــوم والزكاة والحج والمؤمن والكافر والمنافق والمسلم ، وسائر ما جاء فى أبواب الفقه الاسلامى من تعريفات شرعية لألفاظ لغوية ، نبه ذلك الى مقدرة العربيــة لاستيعاب المصطلحات العلمية للعلوم المختلفة ، ولذا ســارع العلماء من مختلف الأمصار الى التفقه فى العربية وتعصبوا لها تاركين خلفهم لغة بنى جنسهم لغة الآباء والأجداد ، وكأن طاقتهم العلمية كانت تنتظر اللغــة التى تطلقها من عقالها ، فوجدنا مصطلحات علم النحو مستوفاة فى كتاب من صــنع فارسى مسلم « سيبويه » ، ومصطلحات فقه العربية يصنفها عباقرة من أمثال : ابن جنى الرومى « وأبى على الفارسى وأبو الحسين أحمد بن فارس القزوينى ، وغير هؤلاء كثيرون من علماء عرب وعجم .

حتى كان العصر العباسى فكانت النهضة العلمية قد علت وازدهرت ، لأن العاملين عليها تكاثروا فى كل أركان الدولة. فبعد أن كان نصيرها الخليفة أو وزيره أو بعض عماله فى بلد واحد ، أصبح نصراؤها فى هذا العصر عدة خلفاء وأمراء ووزراء فى أشهر من مدن العالم الاسلامى ، وتسابقت قرائح العرب ومن أسلم أو تعرب من أمم الشرق والغرب وتســابقوا فى نصرة العلم ، كما تسابق الخلفاء فى خدمة العلماء(٢٤) .

---

(٢٣) الصاحبى فى فقه اللغة ـ ص ٤٤ .

(٢٤) بتصرف فى كتاب ـ تاريخ اداب العربية : لجورجى زيــدان ٢/٢٢٦ .

وقد بدأ فى هـذا العصر حركة الترجمـة لنقـل العلوم الفلسفية وعلوم الكيمياء والطب وغيرها من لغاتها الى العربية، وأنشأ الخليفة العباسى « المأمون » دار الحكمة لهذا الغرض .

وأرى أن العربية يومئذ قد استوعبت المصطلحات العلمية على اختلاف علومها بأمرين اثنين :

الأول : صياغة مصطلح عربى يترجم عن ماهيته فى اللغة المنقولة ، بطريق الأصالة أو المجاز ، ففى الأعم الأغلب يوجـد ترادف كونى بين اللغات ، إن صح هذا التعبير ، بمعنى أن كل معنى من المعانى له لفظه فى كل لغة .

والثانى : تعريب المصطلح ، أى صيغ المصطلح المنقـول بلغته بالصيغة العربية ، صنيع العربية فيما عربت من قبل من أسماء الأعجمية ، ويشرح لنا « الامام سيبويه » هذا الصنيع بقوله : « اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ماليس من حروفهم البتة فربما ألحقوه ببنائهم وربما لم يلحقوه(٢٦) وهذا الصنيع سببه كما قال صاحب شفاء الغليل » : لئلا يدخل فى كلامهم ما ليس منه ، فيبدلون حرفا بآخر ويغيرون حركته ويسكنونه وينقصون ويزيدون(٢٧) .

بهذين الأمرين استوعبت العربية المصطلحات العلمية . ولا غرو فقد أهلها القرآن لذلك حين وسع دائرة الدلالة اللفظية، فمنحها مرونة عجيبة وقوة غريبة للتعبير عن مختلف المعانى الطارئة فى حياة البشر ، أو كما قال أحد الباحثين : لقد فك

---

(٢٥) انظر تاريخ العلوم عند العرب ـ د. عمر فروخ ـ ص ١١٣ .
(٢٦) الكتاب ٤/٣٠٣ .
(٢٧) شفاء الغليل للخفاجى ـ ص ٢٥ .

القرآن الألفاظ من إسـارها وأطلقها من عقـالها ، وقال لها : انطلقى فى هذه الدنيا فعبرى عن كل ما تصادفين من واقع أو إبداع حضارى ، وبذلك اتسعت المعربية لكل مستحدث فى العلم أو مستنبط فى الفكر ، مما نجده فى كتابات الفلاسفة والمفكرين والعلماء والمترجمين ، إبان ازدهار الحضارة الاسلامية(٢٨).

ومما يدعو الى الزهو أن المصطلح العربى قطع مسافات طويلة بلغ بعدها الى لغات تقود النهضة البشرية اليـوم ، وعلى سبيل المثال نرى المصطلحات العربية الآتية مثل : دار الصناعة ، أمير البحر ، القيراط ، الكيمياء ، الكحول ، الجبر ، الصفر ، قد نقلت الى جميع اللغات الأوربية اسما ومضمونا ، وتنطق هذه المصطلحات فى الانجليزية وغيرها بقريب جدا من نطقها العربى ، فهى على الترتيب فى الانجليزية

وقد ظن البعض أن بعض المصطلحات عنـدنا دخيل فى العربية « كالقانون » والكلمة ـ كما عبر « الأستاذ العقاد » من بضاعتنا التى زدت إلينا ، وأنها فى اليونانية ليست الا القناة بصيغة التصغير عندهم(٣٠) .

ورأى بعض الباحثين أن مصطلح
« التكنولوجيا » من بضاعة العربية المردودة إليها لابسة زيا أوربيا ، فنصف الكلمة الأول « التقن » بمعنى الملكة والجبلة ، ومنه قالت العرب : إن الفصـاحة من تقنه » أى من طبعه ، ونصـفها الثانى هى اللغـة ، أخذتهـا الإغريقيـة

---

(٢٨) العربية لغة العلوم والتقنية ـ د. عبد الصبور صاهين ـ ص ٦١ .

(٢٩) انظر هذه الكلمات فى المعجم الانجليزى المورد .
: لمنير البعلبكى .

(٣١) انظر له لغتنا الشاعرة : ص ٦٩ .

واللاتينية وصاغت منها « لوغبا : بمعنى الكلام والمكالمة ، ولو ترجمنا الكلمة بشقيها عن الاغريقية ترجمة دقيقة لقلنا : كلام التقن »(٣١) .

ولذا نجد من معانيها فى قاموس « المورد » اللغة التقنية ، فالواقع أن مواجهة احتمال عروبة هذا اللفظ تضع تحت أيدينا مجموعة من المعلومات القيمة المتناثرة فى جملة من المراجع المعجمية والصرفية ، وهى تشى بوجود علاقة صوتية ودلالية عربية فى هذه الصيغة(٣٢) .

وكما نرى الآن ، فالكلمة ذائعة الصيت ، أو هى أو فى كلمة دالة على العلم التطبيقى ، يتسابق المثقفون الى ترطيب السنتهم بها كما حاولوا أن يعبروا عن النهضة العلمية فى جوانبها المتعددة ، ولم نكن نعلم أن هذا المصطلح كانت العربية أول من صنعته . فاذا بدا منا بعض الدهشة والاعجاب بالعربية ، فقد دهش علماؤنا السابقون كما هو معروف ، فالعلامة ابن جنى يقول : « لو أحست العجم بأطف صناعة العرب فى هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقة والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقديم لها والتنويه منها(٣٣) .

وكذلك ابن فارس قال : « ... فأين لسائر الأمم ما للعرب

---

(٣١) انظر مغامرات لغوية للاستاذ عبد الحق فاضل - ص ١٩٦ .
(٣٢) انظر العربية لغة العلوم والتقنية - د. عبد الصبور شاهين - ص ٣١٧ . وانظر قاموس المورد - لمنير البعلبكى - ص ٩٥٤ ط ١٩٨٨ .
(٣٣) الخصائص ١/٢٤٢ .
(٣٤) الصاحبى - ص ١٦ .

يقول هذا بعد ما وضح من قبل أن اختصاص العربية بنزول القرآن كشف فى العربية عن أمرين هامين(٣٥) .

الأول : أنها لغة البيان لقول القرآن عنها « بلسان عربى مبين » فالبيان أبلغ ما يوصف به الكلام .

والثانى : الدلالة المفهومة من منطوق الوصف على أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه ، وعلى هذا فالاصطلاح بها أوفى ، يقول ابن فارس : ولو اراد معبر بالأعجمية ان يعبر عن الغنيمة واليقين والحق والباطل ... وهذه مصطلحات لعى به(٣٦) .

وما كشفه القرآن من أمور فى العربية استتبعه من علمائنا السابقين جهود مكثفة للكشف عن قوة العربية الذاتية وما تحتويه من أسرار وخصائص ، وهذا ما أريد أوضحه بإختصار فى المبحث التالى بعد تلك الاطلالة العجلى .

٣ ـ مناط القوة :

إن منطلق العربية الى العالمية قديما شىء لا يختلف عليه اثنان ، ولم يكن هذا المنطلق متخذا مسلك شجرة اللبلاب فى صعودها ، وانما كان عن قوة ذاتية كشفت عنها تحريات الباحثين قديما وحديثا ، فمناط قوتها تلك واضحة فى النقاط الآتية :

---

(٣٥) استخرجت هذين الامرين من اجمال ما ذكر ابن فارس ، انظر الصاحبى الصاحبى ١٥ .
(٣٦) المرجع السابق .

١ ـ مرونتها . وليس غريبا أن توصف العربية بالمرونة. فهى موصوفة بذلك من قديم ، فجميع أنواع الاشتقاق موجودة بها ، وعلى ما سمى بالاشتقاق الأصغر يقوم اكبر قسم من متن اللغة العربية ، والعجيب فى أمر هذه اللغة المرنة ، أن يظهر فيها الاشتقاق وهى بين بيئة صخرية صحراوية جامدة ، يدلنا على ذلك قول : « زهير بن أبى سلمى » فى مطلع معلقته(٣٧) :

أمن أم أوفى دمنة تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم

ودار لها بالرقمتين كأنها
مراجيع وشم فى نواشر معصم؟

فأكثر مشاهد بيئة العربية دمن لا تتكلم ، ولكن العربى صاحب هذه اللغة قد استنطقها ، واشتق منها لغته ، فأطلق على المكان الذى تلزمه الابل : العدن ، واشتق منه عدنان ، ومنه جاء المعدن(٣٨) ، وأطلق على ظلمة الليل الدجى واشتق منه الداجاة(٣٩) .

وأطلق على ما يقيد به ناقته العقال ، وأطلق على الفعل العقل ، واشتق منه عقيلة ، قال « ابن سيده » : والعقيلة من النساء : الكريمة(٤٠) . وأتى بها طرفة فى معلقته لكرائم المال وذلك فى قوله(٤١) :

---

(٣٧) انظر شرح المعلقات السبع للزوزنى ـ ص ٥٨ .
(٣٨) الاشتقاق للاصمعى ـ ص ٩٣ .
(٣٩) انظر الكامل ـ للمبرد ١/ ٣٠ .
(٤٠) انظر المخصص ـ لابن سيده ـ ٤/ ٥ .
(٤١) شرح المعلقات السبع ـ ص ٥٠ .

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد

فاستخرج من مشاهداته ما يحتاجه من معان ، ومرنت اللغة بين فكيه للعطاء ، ولذا يمكن لى القول بأن أصل المشتق فى العربية هو الجامد ، إذ لو قلنا المصدر كما قال البصريون لوقعنا فى التناقض ، لدلالة المصدر على المعنى ، والعربية لم تؤخذ من معانى ، وانما أخذت من أعيان جامدة ، وأمامنا هذا المثال السابق مرة أخرى نستدل به « العقل والعقال » فأيهما من الآخر ؟ فطبعى أنه لا يوجد ما يدل على المعنى قبل وجود ما يستدعيه ، ولو قلنا الفعل كما يرى الكوفيون لكان التناقض نفسه لأن العربية قفزت الى المعانى من خلال المشاهدات الحسية ، وهى فى أغلبها فى البيئة العربية مشاهد جامدة فى صحرائها مدة ، وهذا الرأى الذى أراه سأوضح أثره فى المبحث الثالث إن شاء الله .

ولو أردنا دليلا على هذه المرونة فما علينا الا أن نطالع بعض الأمثلة التى لا تحصى حين نمسك بكلمة ثلاثية ونضيف إليها سوابق ولواحق وحشوا ، فنحصل مع المعنى الأصلى ما نحتاج من زمن وحدث وذات ، فانظر الى « علم » نقول علم وعلمنا ، ويعلم وتعلم ... واعلم ، واعلمى ، وعلم وتعالم ، وعلم ، وعلم وعلامة ، وعالم ... الخ ذلك ،ولم تتنكر العربية فى العصر الحديث لما أضيف اليها من قولهم : علمانى ، وعلمانية، وجهاز الاستعلام .

ونلاحظ إن اللواصق التى نوعت المادة الأصلية ليست إلا عناصر صوتية تفاعلت معها المادة الأصلية مع وجود تحول داخلى فيها وبعد الأساس فى اشتقاق العربية ، « ولابد من الاشارة الى أن العربية تتميز بهذه الطريقة فى الاشتقاق على

اللغات الأوربيـــة ، فلم تعرف اللغات الأوربية هـذا التحول الداخلى فى الحركات ، بل اقتصرت على طريقة الالصاق(٤٢) .

وعملية اللصق فى لغة كالانجليزية ـ كما يقول اولمان ـ معروف أن كثيرا منها كان فى الأصل كلمات مستقلة ، وحين نكرر ظهور هذه الكلمات فى المواقع الثانية فى كلمات مركبة أخذت تفقد ذاتيتها بالتدريج ، حتى آلت الى مجرد عناصر صرفية قابلة للدخول فى أية أمثلة جديدة بالطريقة ذاتها(٤٣) .

ومن أدلة مرونة العربية بقابليتها للاشتقاق ، ان الاشتقاق فى الساميات الأخرى أخوات العربية ميت أو قريب من الميت، على حد قول المستشرق « برجشتراسر » وأكد ذلك بأن بناء أفعل التفضيل لا يوجد فى اى لغة سامية أخرى(٤٤) .

فلا مناص من أن نرى أن العربية أم اللغات فى الاشتقاق والتوليد ، ولكن اثبات ذلك تفصيلا يحتاج الى بحث مستقل يلم أطرافه ويجمع شتاته .

(ب) سعتها :

وهذه السعة واضحة فى العربية فى نواح ثلاث تحيط بالعربيـــة .

أولها : سعتها اللفظية : وهذا أمر مشاهد لا يحتاج أكثر من مطالعة معاجمها التى جمعت ألفاظها ، وهـــذه المعاجم من

---

(٤٢) العربية لغة العلوم والتقنية ـ د. عبد الصبور شاهين ـ ص ٢٦٤ .

(٤٣) دور الكلمة فى اللغة ـ اولمان ـ ص ١٣٩ .

(٤٤) التطور النحوى ـ لبرجشترا سرر ص ١٠١ .

الكثرة بمكان ، بحيث أطلق عليها هذا القول الشائع بمصنفات الثروة اللفظية ، وندرك مدى هـذه السـعة اللفظية من كلام الجاحظ عن بديهة العرب اذ يقـول : « ليست هنـاك مكابدة ولا اجالة فكر ... فما هو الا ان يصرف وهمه الى جملة المذهب. والى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى أرسالا ، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا(٤٥) .

قال الأصمعى « سأل رجل من أهل الحضر رجلا من أهل البادية : هل عندكم ما يرعى ؟ فقال البدوى - وهو يهزأ به - نعم عندنا معقل ومـدب وباقل وحانـط وثامروواوارس قال « ثعلب » وانما عنى بذلك كله الرمث ، لأن الرمث أول ما ينتفطر بالنبت يقال له قد أقمل ، فإذا زاد على ذلك شيئا قيل قد أدبى. وهو الباقل ، ثم الحانط : المدرك من كل شىء ، والثامر الذى قـد أخـرج ثمـره ، والوارس الذى اصـفر وكاد ينحـات ويتساقط(٤٦) .

فلكل معنى فى العربية لفظ بل ألفاظ ، ومنكروا الترادف فى العربية غاب عنهم سعتها ، ولكن ابن جنى بنظره الثاقب يعلل وجود الترادف فى لغة رجل واحد بقوله : « لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجـة اليه فى أوزان أشـعارها وسـعة تصرف أقوالها(٤٧) .

ثانيها : قياسيتها : تعجبنى فلسفة ابن جنى اللغوية ، فهو بهذه الفلسفة سابق لعصره ومدرك بعلم صحيح سعة العربية إذ يقـول : بـاب ما قيس على كلام العـرب فهـو مـن كلام العرب(٤٨) . فالقياس تعبير عن سعة العربية التى أرساها

---

(٤٥) البيان والتبيين ١٣/٣ .
(٤٦) مجالس ثعلب ٢٩٢/١ .
(٤٧) الخصائص ٣٧٢/١ .
(٤٨) الخصائص ٣٥٧/١ .

العرب ، فاذا أريد صياغة بنّاء جديد اتسعت العربية له لأن له نظائر وأشباه فى العربيـــة ، لأنهـــا فى مقـــدمة اللغـــات المتصرفة ، وذلك فى رأيى ما شجع آبا على الفارسى على اعتبار « الخشكنان » من كلام العرب ، وعلل ذلك بقوله : « لأنه باعرابك إياه على كلام العرب ، صار من كلام العرب(٤٩) .

وهى كلمة اعجمية الأصل ، سكتت عنهـــا أكثر المعـــاجم العربية ، وذكرها الجواليقى فى المعرب(٥٠) .

وذكر الخفاجى : أن العرب تكلمت به قديما (٥١) . فقد آدخلته العـــرب الى كلامهـــا قبـــل أن يتحدث بذلك الفارسى مستعملة فى هذا القياس الذوقى الذى يجب أن يكون قبـــل القياس اللغوى ، لأنه الدال على سعة العربية ، كما أنه سيزيل من مشكلات العربية أمام تحدى العصر الحديث كما سأذكر بعـــد .

ثالثها : مجازها : فاذا كانت العربيـــة واســـعة الألفاظ واسعة القاعدة فهى واسعة الدلالة أيضـــا ، وهذا أمر بين فى آشعار العربية وحكمها ، والاستشهاد بالمجاز على سعة العربية آمر مسلم به ، فلفظة المجاز نفسها تعبير عن سعتها ، فمعناها ـ كما قال الامام الجرجانى : مفعل مـــن جاز الشىء يجـــوزه اذا تعداه ، ثم قال : واذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز ، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلى أو جاز هو مكانه الذى وضع فيه أولا(٥٢) ، وطبعى أن يذكر الامام

---

(٤٩) السابق .
(٥٠) انظر المعرب ـ ص ١٣٤ .
(٥١) انظر شفاء الغليل ـ ص ١١٢ .
(٥٢) أسرار البلاغة ٢/ ٢٦٥ .

عبد القاهر شرطا فى اطلاق المجازية على اللفظ ، وهو « أن يقع نقله على وجه لا يعرى معه من ملاحظة الأصل(٥٣) .

وسعة العربية بالمجاز ليس أمرا مستحدثا فيها ، حتى يقول أحد انه منقول اليها من سواها ، بل الأمر كما قال ابن عبد ربه الأندلسى عن جانب منها وهو الاستعارة : « لم تزل الاستعارة قديما تستعمل فى المنظوم والمنثور(٥٤) ، حتى إننا لنرى المجاز فى الشعر ولا نعرف قائله أحيانا مما يدل على سعة العربية به مذ نظمت شعرا ، ويكتفى الراوى عندئذ بقوله : قال بعض الأعراب ، أو قال أعرابى ، وهذا كثير نصادفه فى كتب الأدب واللغة ، ذكر كراع النمل شاهدا لمادة من مواد معجمه قال فيه : قال بعض الأعراب يهجو قوما نزل عليهم(٥٥) :

يا حاضرى الماء لا معروف عندهم
لكن أذاهم علينا رائح غادى

بتنا عذوبا وبات البق يلسعنا
نشوى القراح كأن لاحى بالوادى

إنى لمثلكم فى سوء فعلكم
إن جئتكم أبدا إلا معى زادى

فهل الأذى يروح ويغدو ؟ كلا ولكن شبهه بمن يروح ويغدو ، فعذب الأسلوب وتجسد المعنى ، واتسعت اللغة فى التعبير بالاستعارة .

---

(٥٣) السابق .
(٥٤) العقد الفريد ٦/١٨٦ .
(٥٥) المنجد فى اللغة ص ٨١ .

ويظهر أن العلامة ابن جنى قد أستقر آجل أساليب اللغة فرأى العربية قد اتسعت فى باب المجاز فحكم بأن أكثر اللغة مع تأمله مجاز(٥٦) ، أو آن هـذا الحكم راجـع الى فلسفته اللغوية الذى عرف بها ، وعلى كل فالمجاز بألوانه واقع ، والعلة فيه كما رأى ابن جنى وغيره الاتساع (٥٧)...

(ج) سهولتها :

والسهولة فى العربية من أوضح ظواهر قوتها ، وقد يكون من أهم عوامل انطلاقها الى العالمية قديما ، ولعل ما بكر بوجود هذه الظاهرة فى العربيـة قديما ، هو « أن العربية نشأت فى بيئة أمية ، فتلقاها أبناؤها عن طريق الآذان وحدها ، وأدى هذا فى نهاية الأمر الى ان أصبحت أسماعهم مرهفة تنفر من الأصوات التى تنبو فى السمع ، ومن تنافر الحروف مجتمعة. فتخلصت لغاتهم من الكلمات التى لا انسجام بين أصواتها، وأصبحت لغة موسيقية الآلفاظ والعبارات(٥٨) .

ومن هنا نرى واحدا من علماء العربيه ـ من أصل رومى ـ وهو ابن جنى ، يعبر فى وضوح عن سر حبه للعربية بقوله : إننى حين تأملت حال هذه اللغـة الشريفة الكريمة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرقة ما يملك على جانب الفكر ، حتى يكاد يطمح بـه أمام غلوة السحر ...(٥٩) .

---

(٥٦) الخصائص ٢/٤٤٧ .
(٥٧) السابق . ، وانظر المزهر ١/٣٥٥ .
(٥٨) قد شرحت هذه الظاهرة فى بحثى للدكتـوراه ، بعنـوان السهولة والاقتصاد فى النطق اللغوى مخطوط بكلية اللغـة العـربية / بالقاهرة ١٩٨٨ م .
(٥٩) الخصائص ١/ ٤٧ .

ولنقف مع بعض الشواهد التى تؤكد سهولة العربية ، فمفرداتها بنى أكثرها على ثلاثة أصوات ، حرف يبدأ به وحرف يوقف عليه وحرف يحشى به ، وهذا ما لاحظه علماؤنا قديما(٦٠) ، فيستدل بذلك على أن مبنى الكلام العربى قائم على الخفة ، وقد أوغل البناء اللغوى للعربية فى الخفة حين نفى الأوزان الثقيلة رغم ثلاثيتها ، فلم يرد بناء على وزن «فعل» فى العربية لا فى الأسماء ولا فى الأفعال(٦١) .

ونص العلماء على أن البناء اذا تجاوز الثلاثى الى الرباعى والخماسى ، لا يخلو البناء حينئذ من خفة أخرى شرحها « الخليل بن أحمد » بقوله : إنك لست واجدا فى كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية الا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر(٦٢) ، وعقب ابن جنى على هذا بقوله : « فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معراة من بعض هذه الأحرف ، فاقض بأنه دخيل فى كلام العرب وليس منه(٦٣) .

وإذا بحثنا فى التأليف المقطعى للعربية لرأيناه ذا خصائص توضح ما فى العربية من سهولة فى جانبها الأدائى، أولها : لا تبدأ الكلمة فى العربية بمقطع ساكن ولا بحركة . شأن المقطع فى اللغات الأوربية ، فالبدء بصامت ساكن يستشعر الناطق فى نطقه صعوبة فتخلصت العربية من هذه الصعوبة باجتلاب همزة الوصل(٦٤) .

---

(٦٠) انظر العين : للخليل بن أحمد ١/ ٥٥ ، وانظر الخصائص١/ ٥٥
(٦١) انظر المنصف شرح تصريف المازنى لابن جنى ١/ ٢٠ وانظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٢٢٤ .
(٦٢) العين ١/ ٥٨ .
(٦٣) سر صناعة الاعراب ١/ ٦٥ .
(٦٤) انظر الكتاب ٣/ ٣٢٠ .

ولهذا فانى أرى أن بعض الباحثين الغربيين قد شـــهد بنموذجيةالمقطع العربى ، حين قال : « إن كثيرا من اللغات جد فيها ميل واضح الى تقريب بنية مقاطعها من النموذج الأمثل الذى وصفه « جسبرسن » بقدر الامكان(٦٥) .

ففى تمثيله لهذا الاتجاه لم ير إلا ما رآه علماؤنا القدامى من وجوب اجتلاب همزة الوصل للنطق بالكلمة المبدوءة بمقطع صامت ساكن ، إذ ذكر أن فى اللاتينية تغيرت بنية Stare الى Istare . أو Estare ، أى باضافة حركة وصل جعلت مجموعة Stare . ذات مقطعين ، ثم قال : « فهو اذا عامل التطور الذى جعـل البنيـة المقطعية للكلمة أكثر انطباقا مع النموذج الأمثل(٦٦) .

ثانيا : من خصائص المقطع فى الكلمة العربية أنه لا يقبل صامتين فى أوله ولا فى أثنائه ويقبلهما فى آخر الكلمة عند الوقف فقط ، فنظام التأليف المقطعى فى العربية يقـوم على السهولة المحققة فى اختلاط المقاطع ، فما من حركة فى التأليف إلا وتتبعها ساكن غالبا ، أو تتوالى الصوامت مع الصـوائت جنبا الى جنب .

ولو انتقلنا بعد ذلك الى طبيعة البناء ونظام التركيب فى العربية لانكشف لنا مـدى السهولة التى حرصـت عليها العربية فى هذا الشأن ، فلكل بناء فى العربية وزن ، والوزن احساس بحدوث انسجام فى الأداء ، كما أنه ـ على حد قول العقاد ـ قوام التفرقة بين أقسام الكلام فى العربية(٦٧) .

---

(٦٥) علم الاصوات بارتيل ما لبرج ص ١٥٩ ترجمة د . عبدالصبور شاهين .

(٦٦) السابق .

(٦٧) اللغة الشاعرة ص ١٥ .

كما آنها فى مجال التركيب الجملى شـهد لها الأقدمون والمحدثون بالايجاز ، فالكـلام العربى فى نظـر ابن خلدون أوجز وأقل ألفاظا وعبارة من جميع الألسن(٦٨) .

وفى رأى المستشرق « برجشتراسر » الايجاز من علامات العربية المميزة(٦٩) .

والمحصلة النهائية أن معالم السهولة فى العربية ذائعة فيها أداء وبنـاء وتركيبا(٧٠) . ولو أردت أن أضيف مظاهر أخرى مما تؤكد قوة العربية لفعلت ، ولكن اكتفيت بما ذكرت، لأنه كاف فى تأكيد ذلك ، وما ذكرته هو أوضح هذه المظاهر التى جعلت من العربية لغة عالية فى القديم ، ومازالت هـذه المظاهر موجودة الى اليوم فى العربية ، الأمر الذى يقدرها مرة أخرى على الانطلاق الى العالمية حديثا .

٤ ـ منطلقها فى العصر الحديث :

اللغة العربية ـ كما ذكرت من قبل ـ لغة مرنة مطواع متسـعة سـهلة ، ولذلك (كما رأينـا) استطاعت فى بعض عصورها ـ العصر العباسى ـ أن تعبر عن حاجات هذا العصر واتجاهاته واستوعبت مصطلحات جـديدة اقتضتها طبيعـة العصر فى ميادين المعرفة كلها .

ومن البديهى أن انتشار العربية على الشكل الذى انتشرت

---

(٦٨) المقدمة ص ٥٢٣ .
(٦٩) التطور النحوى ص ١٦٢ .
(٧٠) انظر ما وضحته من معالم السهولة فى العربية فى رسـالتى للدكتوراه : السهولة والاقتصاد فى النطق اللغوى . من كلية اللغة العربية جامعة الازهر بالقاهرة عام ١٩٨٨ م .

فيه يرجع الى عوامل كثيرة سياسية واقتصادية ودينية ، بيد أن القيمه الذاتية للغة تبقى فى مقدمة هذه العوامل . فهذه القيمة الذاتية كان عليها المعول فى نشر العربية على الصعيد العالمى قديما ، يقول « يوهان فك » عن العربية فى العصر العباسى : وهذه اللغة السهلة المتحفقة الواضحة سرعان ما احتذاها المثقفون جميعا واستعملوها فى الأدب فى العالم الاسلامى (٧١) ..

ويصفها المستشرق الفرنسى « رينان » بالقوة والكمال ، إذ قال عن العربية فى مختلف عصورها : « من أعرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة الأقوية ، وتصل الى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ومن يوم عملت ظهرت لنا فى حلل الكمال الى حتى أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، ولم يكن يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفوله ولا شيخوخة ، لا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تبارى ، ولا نعلم شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة(٧٢) .

فمقومات منطلقها الى العالمية قديما ، مازالت هى منطلقها الى العالمية حديثا ، ولكن باضافة أسباب أخرى لابد منها فى هذا السبيل ، وهذه الاسباب فى رأيى ثلاثة : سبب يعود الى اللغة نفسها ، وسبب يعود الى أصحاب هذه اللغة ، وسبب يعود

---

(٧١) العربية : دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب : ليوهان فك : ص ٦٧ .

(٧٢) نقلا من كتاب : فى قضايا اللغة التربوية : د محمود السيد ص ٢٤ .

الى عصر اللغة التى تحياه حديثا ، وسأتناول ذلك بالترتيب الآتى :

أولا : ما يعود الى اللغة . وأراه يتلخص فى جملة واحدة هى : تذليل ما يعد مشكلة فيها ، وأرى أن أهم مشكلة فى طريق العربية الى الانطلاق هو تقييد القياس اللغوى أو تضييقه الأمر الذى أذاع فى جنبات اللغة عبارة « شاذ يحفظ ولا يقاس عليه » وكل لغة فيها شواذ ، فما ينبغيه من اتساع القياس لا يعنى محو الشاذ كله من اللغة ، فهذا مستحيل ، وإنما نحجم هذا الشاذ بتوسعة القياس لبعضه ، ولذأت بمثال توضيحى لذلك ، يرى النحاة والصرفيون . أن صوغ اسم الفاعل من الثلاثى على فاعل موقوف على السماع من فعل اللازم(٧٣) ، ومعنى موقوف على السماع ، أى لا يقاس عليه ، وقد كان يجب أن يكون قياسيا ، لأن ما ورد من هذا كثير وورد فى سماع محترم لا يجوز وصفه بالشذوذ فقد جاء فى القرآن « كل من عليها فان»(٧٤) وفانى على فاعل من فعل اللازم ، وفى حديث عمر بن الخطاب ـ ض ـ : أنه رشح للخلافة ستا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو عنهم راض(٧٥) ، وراضى على فاعل من فعل اللازم ، لأن الصفة المشبهة باسم الفاعل والتى تصاغ باطراد من فعل اللازم لا تغنى غناء كاملا عن صياغة اسم الفاعل ، وهذا ما نفهمه مما قاله الفيروزبادى : ضرب ضربة ليس بحاى منها ، ولا تأكل كذا فانك مارض(٧٦) .

---

(٧٣) انظر شرح ابن عقيل بحاشية السجاعى ٢٢٨ .
(٧٤) سورة الرحمن آيه ٢٦ .
(٧٥) انظر صحيح البخارى بحاشية السندى ٢/ ٢٩٩
(٧٦) انظر ترتيب القاموس المحيط للزاوى ١/ ٧٥٤

ولو خفف النحاة من تعسير القياس البصرى ، واستمدوا بعضا من تيسير القياس الكوفى لأنصفوا ، ولا أقول برفضهما أو رفض أحدهما ، بل أقول : أن نأخذ منهما ونترك منهما ، حتى لا تضيع ضوابط اللغة ولا يكثر فيها الشذوذ أيضا .

وكانت هذه نظرة « أبى العلاء المعرى » حين لم يتفق مع الامام الكبير « سيبويه » فى نقده « بشار بن برد » الشاعر ، فى قوله :

على العز لى منى السلام فطالما
لهوت بها فى ظل مخضرة زهر

فكانت حجة سيبويه أنّ عز لى لم يستعمل فى اللغة (لأن هذا الوزن ما ورد منه عن العرب موضوع فى دائرة ما يحفظ ولا يقاس عليه) وكانت حجة بشار أنه مثل الجمزى والوكزى، ورأى المعرى أن بشارا قاسه على نظائره من فعلى وهى كثيرة(٧٧) .

وكأن المعرى بقوله : وهى كثيرة ، يقول لسيبويه : كم تحتاج من نظائر عز لى حتى تعتمدها مقيسة ؟ وأنا لا أغمز سيبويه فهو إمام العربية بلا منازع ، ووارث علم الخليل بن أحمد ، جزاهما الله عن العربية خير الجزاء .

فاتساع القياس اللغوى عامل مهم فى صياغة مصطلحات تواجه اللغة بها مستجدات العصر الحديث التى أكثرها وافدة، ثم لا نكون بالعمل على اتساع القياس اللغوى قد أزلنا هذه المشكلة برمتها من اللغة ، بل نكون خففنا منها ، ويجب علينا بعد ذلك أن نوجد فى اللغة ما اسميه بالقياس الذوقى الذى

---

(٧٧) عبث الوليد المعرى ص ٧٧ .

قد يصوغ من الجوامد ما يسد حاجة فى اللغة ، فالعربى الأول حين صاغ الكلمات صاغها من البيئة الجامدة حوله ، فقد كان ـ كما يقول أحد الباحثين ـ يختار الاسم بملحظ صفة فى مسماه ، ثم يصوغه على وزن يلذ فى أذنه جرسه ، ولم يكن يفكر فى قياس أو سماع(٧٨) .

وإذا كانت صناعة الكلام فى الألفاظ لا فى المعانى ، كما يقول ابن خلدون(٧٩) ، فينبغى أن يكون القياس الذوقى مع القياس اللغوى ، إذ علمنا أن العربى الأول كان يرتجل وحين ارتجل لم يتحقق عند وضعه قصد نقله من معنى اول ، ولذلك إذا اعتمدنا الجامد أصل المشتقات فان أثر ذلك محقق فى انطلاق القياس الذوقى أو الابداعى فى لغتنا العربية ، فاستطاعت اللغة فى عصرها الحديث أن تنطلق من عقالها مستجيبة لكل ما يحتاجه العصر منها ، وإذا كان العلامة ابن فارس قديما قال : « ليس لنا اليو مأن نخترع ولا أن نقول غير ما قاله العرب(٨٠) ، فان اللغة فى عصره كانت موفية لحاجات المجتمع أما لو عاش ابن فارس فى عصر اللغة الحديث لتغيرت فتواه ، فهو من علماء اللغة النابهين ، ولا يقل عن معاصره العلامة ابن جنى غيرة على العربية ، فابن جنى تنبه إلى حاجة اللغة الى هذا القياس الذوقى حين رد على أستاذه الفارسى عندما وصف ما بناه الأخفش على فاعل ، ومثل له بكابل بقوله : إنه بناء فاحش ، فقال ابن جنى : ليس فى كابل شىء يتثقل مثله فى ضرب ، انما فيه أنه لم يجىء فى كلام

---

(٧٨) الاستاذ اسماعيل مظهر فى كتابه تجديد العربية ص ٥٦ .
(٧٩) المقدمة ص ٥٤١ .
(٨٠) الصاحبى لابن فارس ص ٣٣ .

العرب مثل فاعل ـ بضم العين ـ كما أنه قد تتخيل أبنية كثيرة متمكنة ولكنها لم تأت فى كلامهم(٨١) .

يقول ذلك ابن جنى فى الوقت الذى يرى فيه رأى أستاذه ورأى الخليل وسيبويه من قبلهما بأنه لا يبنى الا على مابنت ولكن فى كلامه ما يكاد يكون إفصاحا عما نحن بصدده من تقرير للقياس الذوقى فى العربية ، الذى لا يستثقل ولا يعزب. « وما يبقى على اللغة شعارها ، ويبسط فى نطاقها ما يتسوغه الذوق العربى ، وتقتضيه العلوم على اتساع دائرتها والمدنية على اختلاف أطوارها وتجدد مرافقها .

ويكون هذا النوع من القياس مقصورا على الراسخين فى علم اللغة من المحدثين الملمين بتراث قدامى اللغويين ، والمتذوقين وقع البناء عند النطق ، وقصر هذا الحق على هؤلاء دون غيرهم يوفر الأمان للغة من الزيغ ، فاما أن يحيوا موانا أو يبدعوا غير بعيد . فالآن تواجه العربية تحديا حضاريا جديدا ، ولا أقول إنها تنافس على البقاء ، فهذا أمر مكفول لها منذ نزل القرآن بها ، ولكنها تنافس على حضارة عالمية أتقوى على التعبير عنها أم لا ؟ فيجمل بنا أن نساعد قوى هذه اللغة على أن تتطور التطور الأوفى ، وأن نجعلها أكثر ليانا وطواعية لتواتى مقتضيات الحضارة العلمية والأدبية اليوم وغدا ، فتكون أكثر صلاحية للتعبير وأشد عضدا لمواجهة الزمن القريب والبعيد ، وهذا كله رهن بأن يدرك الجميع أن العربية تعيش فى عصر جديد كل الجدة ، وهذا ماستقف عنده فى بيان السبب الثانى .

ثانيا : ما يعود الى عصر اللغة التى تحياه حديثا . إذ هو

---

(٨١) المنصف : شرح تصريف المازنى ١/١٨١

عصر أخص ما يوصف به . هو أنه عصر « التكنولوجيا » فهو عصر يفرض نفسه على المجتمعات البشرية رضوا أم ابوا . لأن وسائله الحديثة محت المسافات بين سكان الأرض . وأصبح العالم كله وكأنه يعيش فى حجرة واحدة ، واقدر اللغات على التعبير عن وسائل هذا العصر المتنوعة هى التى ستفرض نفسها على قاعات العلم وحجرات الدراسة ، وجعل إحدى هذه اللغات القادرة على التعبير عن مستجدات هذا العصر لتقف فى مصاف العالمية مرة أخرى ، يتحتم عليها أن تفتح باب التعريب والافتراض على سواء ، ولى وجهة نظر خاصة فى كيفية فتح هذا الباب ، أقدم لها بالملاحظات الآتية .

١ ــ أن اللغات شىء موجود فى الحياة ومن ثم لابد أن يحدث بينها تأثير وتأثر ، ومن ثم أيضا يصبح تقييد مجمع اللغة العربية الاقتراض بقيد ــ عند الضرورة(٨٢) . ملغى ، لأن عملية المد والجزر فى البحر لا تحدث عند الضرورة ، وقد أعجبنى قول للأستاذ « الرافعى » يعلل به ما يدخل إلى العربية من ألفاظ اللغات الأخرى ، قال : « لأن أرض العرب وديارهم لم تكن الأرض كلها ، فتنحصر أفلاذها ونتائجها بين أيديهم حتى يتعين عليهم أن يضعوا لكل شىء ضريبة ونديدة(٨٣) .

ولكن قيد الضرورة فى القديم كان مقبولا ومفروضا ، لأن العربية إذ ذاك كانت اللغة العالمية الأولى(٨٤) ، فأقرضت اللغات الأخرى حينئذ ما تشهد به معاجم هذه اللغات .

---

(٨٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ١/٢٠٢ .
(٨٣) تاريخ آداب العرب للرافعى ١/٢٠٠ .
(٨٤) ولذلك يعقد الثعالبى فصلا فى كتابه ، عنوانه : فصل فى سياقة أسماء تفردت بها الفرس فاضطرت العرب الى تعريبها ، أو تركيها كما هى : انظر له ؛ فقه اللغة وسر العربية ص ٣٢٠ .

يقول صاحب قاموس المورد : تحفل اللغة الانكليزية بالألفاظ المستعارة من مختلف اللغات قديمها وحديثها ، وتعد العربية من أبرز اللغات التى استمدت منها الانكليزية كلمات كثيرة ، وبخاصة فى ميادين العلم على اختلافها(٨٥) .

ولم يضر الانجليزية هذه الاستعارة ، ولم تعقها عن الانطلاق الى العالمية فى العصر الحديث ، فإن مرت فترة كانت العربية هى المقرضة ، فلا على العربية من حرج ان اقترضت ، والحياة دول .

٢ ـ أن العربية قد اقترضت منذ العصر الجاهلى ، ولم يكن العرب إذ ذاك أقل غيرة منا عليها ، فهذا امرؤا القيس يستعمل من الرومية « السجنجل » ، وعنده المرآة العربية(٨٦) ، وكذا طرفة بن العبد استعمل قنطرة الرومية(٨٧) ، واشتق الحارث بن حلزة المهارق من المهرق الفارسية(٨٨) ، فاذا كانت القافية قد اضطرت امرىء القيس الى السجنجل ، فما الذى دعا الآخرين الى استعمال المعرب ؟ فليست الضرورة اذا هى الحاملة لهم على استعمال المعرب ، بل هو احساس العربى

---

(٨٥) قاموس المورد الانجليزى الغربى منير البعلبكى ص ١٠٠ من آخر المعجم .

(٨٦) فى قوله :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة
ترائبها مصقولة كالسجنجل

(٨٧) فى قوله :

كقنطرة الرومى أقسم ربها
لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

(٨٨) فى قوله : حذر الجور والتعدى وهل ينقص مائى المهارق الاهواء.؟

والمهرق : معرب « مهركرد » الخرقة تطلى وتصقل ليكتب عليها : انظر المعلقات السبع للزوزنى ـ ص ١٥ ، ٤١ ، ١٣٤ = الابيات المذكورة .

بقوة لغته التى تصنع اللفظ الأجنبى عنها صناعة جديدة عند يتوه بسببها عجمته ، فلتنظر الى سرادق - وهى لفظة قرآنية - أين هى عن اصلها الفارسى « سراده » كما قال الجواليقى(٨٩) ، أو « سرابرد » كما ذكر الخفاجى(٩٠) ، أوسراادار كما نقل ابن برى(٩١) ؟ ، وصدق « سيبويه » فيما قال : « بأن الأعجمية يغيرها دخولها العربية(٩٢) .

فالعربى الذى صنع ذلك ، لم يصنعه إلا وهو موقن أن يملك لغة متصرفة ، فاشتق من الاعجمى كما يشتق من أصول كلامه ، ولم يكن المصدر ولا الفعل هما مصدر أو أصل اشتقاقه. بل كل جامد أمامه اشتق منه ، محفوفا اشتقاقه بذوق يمنح المشتق قبولا ويكسبه استعمالا فقد استخدم مبضع الاشتقاق بمهارة حولت الحرف والصوت والأعجمى أفعالا ، فقال : «سألتك حاجة فلوليت لى ، أى قلت لولا ، وقال : دعدعت بالغنم ، أى قلت لها :داع داع(٩٣) .

وحكى صلصلة اللجام ، فقال : صلصل ، وصل(٩٤) . وحكى الفارسى عن ابن الأعرابى ، قوله : درهمت الخبازى ، أى صارت كالدراهم ، يقول الفارسى : فاشتق من الدرهم وهو أسم أعجمى(٩٥ . فلا نكاد نصف عمل العربى فى اشتقاقه من الأعجمى إلا بما وصفه الجواليقى من قبل بأنه جرأة(٩٦) .

---

(٨٩) انظر المهذب - للسيوطى - ص ٥٦ .
(٩٠) شفاء الغليل - للخفاجى - ص ١٤٨ .
(٩١) حاشية ابن برى على المعرب - ص ١١٠ .
(٩٢) الكتاب - لسيبويه ٤/٣٠٤ .
(٩٣) انظر الاشباه والنظائر - للسيوطى ١/٧٣ .
(٩٤) انظر معجم العين - للخليل بن أحمد ٩/٦٢ .
(٩٥) انظر الخصائص - لابن جنى ١/٣٥٧ .
(٩٦) انظر المزهر / للسيوطى ١/٢٧٣ ، وانظر عبث الوليد للمعرى - ص ٢٠٠ .

وهم يخاف ؟ ومعه أم اللغات فى الاشتقاق والتوليد ؟ واذا كان الجواليقى قد وصف بالجراءة عمل العربى إنزاله الأعجمى على حكم العربى بالابدال والزيادة والنقصان ، فان ثمت جراءة لم يلحظها ، وهى أن العربى أدخل الأعجمى أحيانا الى لغتـــه دون تغيير ، يقول عن ذلك سيبويه : « وربما تركوا الاســم ـ يعنى الأعجمى ـ على حاله اذا كانت حروفه من حروفهم كان على بنائهم أو لم يكن ، نحو : خراسان ، وخرم والكركم(٩٧) .

فالعرب القديم لم يخف من كون بعض الأعجمى لن يكون على مثال أبنيته ، فقد اكتفى بأن الخروج على البنـــاء علامة مميزة لهذا الدخيل ، ولذلك نص ائمة اللغة بعد ذلك ـ كما نقل السيوطى ـ على أن عجمة الاسم تعرف بوجوه : منها : خروجه عن أوزان العربية ، نحو ابريسم (٩٨) .

٣ ـ أن الحضارة الحديثة حضارة ولود ، لا تلد كل عام وإنما كل يوم ، فبين الإصباح والامساء تنهال منها الاختراعات التى تسافر كل قطر بل كل قرية ، وتتمخض عن مصطلحات تدخل كل جامعة بل كل مدرسة ، بحيث إذا قامت الترجمة الحقيقة بتحديد المقابل الغربى لبعضها ، فإن البعض الآخير (وهو كثير) لن نجد له مقابلا عربيا ، لأن مسميات المصطلحات أكثرها لا يوجد إلا فى البيئة التى سمته ، وأحيانا تـــكون الأسماء الاصطلاحية هى أسماء الأشخاص الذين ابتكروا ، وأحيانا أخرى تكون مصطلحات منحوته من عدة أسمـــــاء مختلفة ، فيتعذر حينئذ بل يستحيل مجىء مقابل عربى ولو عن طريق المجاز ، أو أى طريق آخر ، فليس أمام العربيـــــة إذا سوى فتح باب التعريب والاقتراض على سواء .

---

(٩٧) الكتاب ٤/٣٠٤ .
(٩٨) المزهر ١/٣٧٠ .

ومن وجهة نظرى الخاصة أرى ضرورة ووجوب فتح هذا الباب ، فلا خوف من فتحه ولو على مصراعيه لدى العربية ، ولكن ليس بطريقة عشوائية ، وإنما بالطريقة الآتية .

يراعى التفرقة بين العلوم النظرية والعملية ، فالعلوم النظرية ينبغى أن يكون كل مصطلحاتها عربيا ، فإنى ارى أن من العجب استخدام مصطلحات أعجمية مثلا فى علوم اللغة ، لأن فى كل لغة ما يلبى حاجتها من المصطلحات ، ورحم الله ابن خلدون فقد رأى أن مما أضر بالناس فى تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاح فى التعليم (٩٩) ، فالمصطلحات الأعجمية فى العلوم النظرية غير معقولة ولا مقبولة ، ولو ذكرت بين قوسين فإنما تذكر لتقريب الفهم لأعجمى يتعلم العربية ، أو لعربى يتعلم الأعجمية (١٠٠) .

فالعلوم النظرية فهمها وإجادتها لن يكون الا بمصطلحات منها ، فمن الشطط والغلو تفسير العلوم النظرية بما ليس من لغتها .

أما العلوم العملية فلا خوف على العربية أن نفتح أمامها باب التعريب أولا ، ثم باب الاقتراض بلا حرج ، لأن هذه العلوم آتت أكلها بعد نضوجها لدى الأعاجم فى العصر الحديث ، وأصبحت مصطلحات هذه العلوم عالمية ، وإذا انتظر الباحثون فى هذه العلوم أن تقوم المجامع اللغوية أولا بإيجاد المقابل العربى عن طريق الترجمات الحقيقة ، أو حتى

---

(٩٩) المقدمة /ص ٥٠٠ ، فما بالنا لو كانت المصطلحات من أكثر من لغة ؟

(١٠٠) كما أن ذكر الاعجمى والحالة هذه يتيح الفرصة لدراسة. مقارنة عند الحاجة .

بتعريب قد يضيع المعنى الدقيق للمصطلح فسينتظرون كثيرا نظرا للسيول المتحققه كل يوم من جراء العلوم التطبيقيه . ويمكن أن نستدل على سرعة تلقف المصطلح العلمي التطبيقي بما صنعه المعرب القديم ، فقد نقل الأعجمي الى لغته أو أدخلها ولم تكن هناك قواعد يسير عليها وتحدد له كيف يعرب أو كيف يستعمل التخيـــل ، فلم يكن إلا سليقتـــه التي تثبت بها علماؤنا القدامى وقصروا حق التعريب على أصحـابها ، ثم رسموا ما حدث بعد ذلك من إعرابات ومعربات باسم المولد ، ولا نعيب عليهم ذلك في هذا الوقت ، لأن اللغة كانت آنذاك مهيمنة على ما دونها ، ولو عاش الى هذا الزمن أحد هـــؤلاء الأعلام لا يسعه إلا أن يطالب بما أطالب به ، وأقول مـــرة أخرى لا خوف من ذلك البتة ، لأن هذه المصطلحات التقنية لبعض فئات المجتمع لا للمجتمع كله ، ولأنها ينبغي أن تمر عبر قناة شرعية وهو الكتابة العربيـــة إن أمكن ، ولأننا سنقترض مفردات ، والمفردات المستعارة ـ على حد قـــول فندريس ـ مهما اشتد تأثيرها يمكن أن تظل مسألة خارجية عن اللغة (١٠١) .

ولأن أمتنا في حاجة ماسة إلى إتقان هذه العلوم المادية ويوم أن تنهض وتحقق باعا في هذه العلوم ستخف لغـــات أخرى إلى مصطلحاتها .

---

(١٠١) اللغة ـ لفندريس ـ ص ٣٥٨ .

ثالثا : ما يعود إلى أصحاب اللغة

وهم أمة اللسان العربى ، إذ عليهم أن ينهضوا من كبوتهم ، ويهبوا من رقدتهم ، فما زال المنطق المعروف قديما ، بأن الدنيا إذا أدبرت عن أحد منحته مساوىء غيره وسلبته محاسن نفسه ، ما زال هذا المنطق موجودا ، وإذا عاشت أمة ما لا تشارك عالمها فى أشيائه ، انزوت هذه الأمة وانزوى كل شىء لها ، ولم يعد ينفعها أنه كان لأسلافها ماض مشرق ، وتاريخ مضىء ، وصدق القائل :

ليس الفتى من يقول كان أبى
إن الفتى من يقول هاأناذا

فالواجب وصل الحاضر بالماضى وربطهما معا بالمستقبل إذا كنا نطمع لعربيتنا عالمية فى عصرها الحديث ، وهذا الوصل والربط لا يتحقق إلا من خلال حضارة المجتمع التى لن تكون من خلال خشبة مسرح غنائى أو تمثيلى ، ولا من خلال ملاهى وملاعب ، بل فقط من خلال ثقافة عامة موزعة على مواهب أفراد المجتمع ، فالثقافة الأدبية واللغوية والعملية التجريبية ، يكون لها واقع عملى فى المجتمع ، لا واقع ذهنى فحسب ، ولن يتحقق للعربية العالمية فى العصر الحديث بدخولها منظمة دولية ، وإنما يتحقق لها ذلك يوم أن تنهض إلى السلم العلمى تقف على درجاته ، ويكون لها من فوقه إنتاج علمى وتقنى وتكون العربية هى صانعة مصطلحاته فهذا السلم وحده هو مصعد العربية إلى العالمية فى عصرها الحالى ، ولكن يوم أن تتحرك أقدام الأمة إليه ، لا أن يتحرك هو لينحنى لأقدامها ، فمجاز النهوض سهل على أمة تستعذب الصبر فى سبيل المجد

وإن سيادة الأقوام فاعلم
لها صعداء مطلعها طويل

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

د / ربيع محمد مصطفى صادومه

المـراجـــــع

١ ـ الدكتور : ابراهيم أنيس

١ ـ فى اللهجات العربية / ط الأنجلو المصرية / الرابعة ١٩٧٣ م .

٢ ـ اللغة بين القومية والعالمية/ط دار المعارف/القاهرة ١٩٧٠ م

٢ ـ ابن برى : عبد الله بن عبد الجبار

١ ـ حاشية ابن برى على المعـــرب لابن الجواليقى / تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائى / ط بيروت / الاولى / ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م

٣ ـ ابن جنى : أبو الفتح عثمان

١ ـ الخصائص : ط عالم الكتب / الطبعة الثالثة١٩٨٣

٢ ـ سر صناعة الإعراب : تحقيق د حسن هنـــداوى / سورية / الاولى / ١٩٨٥ م .

٣ ـ المنصف : شرح تصريف المازنى : تحقيق الاستاذين ابراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ط الحلبى / الاولى ١٩٥٤م

٤ ـ ابن خلدون : العلامة عبد الرحمن بن خلدون

١ ـ مقدمة ابن خلدون/ط دار الشعب القاهرة بدون تاريخ

٥ ـ ابن سيده : أبو الحسن على بن اسماعيل

١ ـ المخصص / تحقيق لجنة إحياء التراث العربى / بدون تاريخ .

٦ ـ ابن عبد ربه : العلامة أحمد بن محمد الأندلسى

١ ـ العقد الفريد / تحقيق د مفيد قميحة / ط بيروت / الأولى ١٩٨٣ م

٧ ـ ابن عقيل : بهاء الدين عبد الله العقيلى

١ ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ومعه حاشية العلامة السجاعى ـ بدون تاريخ .

٨ ـ ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن زكريا

١ ـ الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها / ط القاهرة ١٩١٠ م .

٩ ـ ابن النديم : العلامة أبو الفرج محمد بن يعقوب اسق المعروف بابن الوراق

١ ـ الفهرست / تحقيق رضا تجدد / ط طهران ١٩٧١ م

١٠ ـ الاستاذ : أحمد الاسكندرانى وآخرون

١ ـ المفصل فى تاريخ الأدب العربى / ط القاهرة ١٩٣٤م

١١ ـ الأستاذ : اسماعيل مظهر

١ ـ تجديد العربية / ط نهضة مصر ـ بدون تاريخ .

١٢ ـ الأصمعى : الرواية أبو سعيد عبد الملك بن قريب

١ ـ اشتقاق الأسماء / تحقيق د رمضان عبد التواب ، وصلاح الدين الهادى ط الخانجى القاهرة / الرابعة ١٩٨٠م.

١٣ ـ أولمـــان

١ ـ دور الكلمة فى اللغة / ترجمة د كمـــال بشر / ط القـاهرة ١٩٧٥ م

١٤ ـ بارتيل مالمبرج

١ ـ علم الأصوات / تحقيق د عبدالصبور شاهين / ط مكتبة الشباب بالقاهرة ١٩٨٥ م .

١٥ ـ (الإمام) البخارى : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل

١ ـ صحيح البخارى بحاشية السندى / ط دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

١٦ ـ مرجشتراسر (مستشرق ألمـانى)

١ ـ التطور النحوى للغة العربية / ط القاهرة ١٩٨٢ م تقديم د رمضان عبد التواب

١٧ ـ الثعالبى : العلامة أبو منصور عبد الملك بن محمد

١ ـ فقه اللغة وسر العربية / تحقيق / سليمان البواب ط سورية ١٩٨٤ م ٠

١٨ ـ ثعلب : العلامة أبو العباس أحمد بن يحى

١ ـ مجالس ثعلب / تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون دار المعارف / الرابعة / ١٩٨٠ م ٠

١٩ ـ الجاحظ « أبو عثمان عمرو بن بحر

١ ـ البيان والتبيين / طبعة بيروت بدون تاريخ ٠

٢٠ ـ جـوجى زيـدان

١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ط دار الهلال بالقاهرة بدون تاريخ ٠

٢١ ـ الخفاجى : العلامة : شهاب الدين أحمد المصرى

١ ـ شفاء الغليل / تعليق د محمد عبد المنعم خفاجى / ط القاهرة ١٩٥٢ م ٠

٢٢ ـ (الامام) الخليل بن أحمد الفراهيدى

١ ـ العين / الجزء الأول تحقيق د عبد الله درويش / العـراق ١٩٨٤ م ٠

٢٣ ـ (الدكتور) رمضان عبد التواب

١ ـ مصول فى فقه العربية / ط القاهرة الثانية ١٩٨٣ ٠

٢٤ - الزاوى : الأستاذ الطاهر أحمد الزاوى

١ ـ ترتيب القاموس المحيط للفيروزبادى / ط الحلبى بالقاهرة الثانية بدون تأريخ ٠

٢٥ ـ الزوزنى : العلامة أبو الحسين بن أحمد بن الحسين ٠

١ ـ شرح المعلقات السبع ط القاهرة ١٩٧١ م ٠

٢٦ ـ (الأستاذ) سعيد النورسى

١ ـ اشارات الإعجاز فى مظان الايجاز ط بيروت ١٩٧٤م

٢٧ ـ (الامام) سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر

١ ـ الكتاب / تحقيق هارون / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م ٠

٢٨ ـ (الامام) السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن

١ ـ المزهر : ط القاهرة/ الثالثة/ بدون تاريخ

٢ ـ الاتقان فى علوم وقرآن / وبهامشه إعجاز القرآن للباقلانى / ط بيروت ١٩٧٣ م

٣ ـ المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب / تحقيق د٠ ابراهيم أبو سكين / القاهرة / ١٩٨٠ م ٠

٢٩ ـ (الدكتـور) صبحى الصالح

١ ـ دراسات فى فقه العربية / ط بيروت / الرابعة / ١٩٧٠ م ٠

٣٠ ـ (الأستاذ) عباس محمود العقاد

١ ـ اللغة الشاعرة / ط القاهرة / بدون تاريخ ٠

٣١ ـ (الأستاذ) عبد الحق فاضـل

١ ـ مغامرات لغوية / طبعة بيروت / بدون تاريخ ٠

٣٢ ـ (الدكتور) عبد الصبور شاهين

١ ـ العربية لغة العلوم والتقنية / ط القاهرة / الثانية ١٩٨٦ م ٠

٣٣ ـ (الإمام) عبد القاهر الجرجانى

١ ـ أسرار البلاغة ، شرح وتعليق د محمد عبدالمنعم خفاجى ط القاهرة / الأولى ١٩٧٢ م ٠

٣٤ ـ (الدكتور) عبد المنعم خفاجى

١ ـ شرح ديوان عنترة العبسى / ط القاهرة الاولى١٩٦٩

٣٥ ـ (الدكتور) عبده الراجحى

فقه اللغة فى الكتب العربية ط الاسكندرية بدون تاريخ

٣٦ ـ (الشاعر) علقمة الفحـل

١ ـ ديوان علقمة / جمع وشرح السيد أحمد صقر / ط القاهرة / الأولى ١٩٣٥ م ٠

٣٧ ـ فنـــدريس

١ ـ اللغة / ترجمة الأستاذين : الحواخلى والقصاص / ط الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٠ م ٠

٣٨ ـ كراع النمل : العلامة أبوالحسن على بن الحسن الهنائى

١ ـ المنجد فى اللغة / تحقيق د / أحمد مختار عمر / بيروت ١٩٧٦ م ٠

٣٩ ـ المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد

١ ـ الكامل فى اللغة والأدب / ط القاهرة بدون تاريخ

٤٠ ـ مجمع اللغـــة العربيـــة

١ ـ مجلة المجمع / الجزء الأول / ط القاهرة ١٩٣٥ م

٤١ - (الدكتور) محمـــود السيد

١ ــ فى قضايا اللغة التربوية / ط الكويت بدون تاريخ

٤٢ - (الأستاذ) مصطفى صادق الرافعى

١ ــ تاريخ آداب العرب / ط بيروت / الاولى ١٩٧٦ م ٠

٤٣ - (الشاعر والفيلسوف) المعرى : أبو العلاء المعرى

١ ــ عبث الوليد / شرح ديوان البحترى سورية ١٩٣٦م

٤٤ - (الاستاذ) منير البعلبكى

١ ــ قاموس المورد انجليزى عربى ط بيروت ١٩٨٨ م ٠

٤٥ - (الدكتور) ميشال زكريا

١ ــ علم اللغة الحديث / المبادىء والاعلام / ط بيروت الثانية / ١٩٨٣ م ٠

٤٦ - يوهان فك

١ ــ العربية / تقديم / د رمضان عبد التواب القاهرة ١٩٨ م